خِدْمَةُ النُّحَاةِ وَاللُّغَوِيِّينَ للقُرْآنِ الكَرِيمِ – الدُّؤَلِيّ وَالجُرْجَانِيّ أنمُوذَجًا –

Grammarians and Linguists' Service for the Holy Qur'an; Al-Du'ali and Al-Jurjani as Models

خالد ضو [1] *

[1] جامعة الجزائر -1- بن يوسف بن خدة ، الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/03/02 تاريخ القبول: 2021/07/04 تاريخ النشر: 2021/07/28

ملخص:

يدرسُ هذا البحثُ جانبًا من الدّور الفعّال للنّحاة وعلماء اللّغة في خدمة القرآن الكريم، ويهدفُ إلى التّأكيد على أنَّ القرآنَ الكريمَ يُشكِّل أولى اهتمامات اللّغويّين في الدّراسة والاستشهاد، كما يهدفُ إلى التّعريفِ بعالِمَيْن لُغَوِيَّيْن كبيرَيْن في تاريخ اللّغة والأدب والنّحو؛ وهما أبو الأسود الدُّؤَلِيّ، وعبد القاهر الجُرْجَانِيُّ، وبيان إسهامِهما في خدمةِ القرآن، ومن أهمّ النّتائج التي تَوَصّلَ إليها البحثُ أنَّ النُّحاةَ باهتمامهم بدراسة القرآن الكريم أبدعوا في خدمته، ومن ذلك تنقيط الدُّؤَلِيّ لحروفه فيسّر على القراء بعده، وشرْحُ الجُرْجَانِيُّ لنظرية النّظْم في إعجازه، فكانت مُنْطَلَقَ الدّراسات في الإعجاز البيانيّ للقرآن.

الكلمات المفتاحية: أبو الأسود الدؤلي؛ عبد القاهر الجرجاني؛ تنقيط المصحف؛ نظرية النظم.

Abstract:

This research studies an aspect of the effective role of grammarians and linguists in the service of the Holy Qur'an, and aims to confirm that the Holy Qur'an is the first interest of linguists in studying and resourcing. It also aims to introduce two major linguistic scholars in the history of language, literature and grammar, Abu al-Aswad al-Du'ali and Abd al-Qaher al-Jurjani, and their contribution to the service of the Qur'an. Among the most important findings of the research is that the grammarians, with their interest in studying the Holy Qur'an, excelled in its service. Including al-Du'ali's punctuation of its letters to be easy for readers, and al-Jurjani's explanation of the structure theory in its miracles, and that is the starting point of studies in the linguistic miracles of the Qur'an.

Keywords: Abu al-Aswad al-Du'ali; Abd al-Qaher al-Jurjani; punctuation of the Qur'an; the theory of structure.

* **المؤلف المرسل:** eettaalleebb@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

* **مقدّمة:**

بسم الله الرحمن الرحيم

1-1. تمهيد:

الحمد لله ربّ العالمين، حتى يبلغَ الحمد منتهاه، والصّلاة والسّلام على النبيّ الأمين، محمّدٍ بن عبد الله، عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم، وبعد: فإن القرآن الكريم معجزة الله الخالدة، ودستور الدنيا الخارق لكل عادة، فليس كمثله في كتب الأولين ولا في كتب الآخرين، وبه تحدّى الله الشعراء والعارفين، بل به تحدّى العالمين؛ قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء:88].

تعهّد الله جل وعلا بحفظ كتابه؛ حيث قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر:9]، وسخّر لحفظه من شاءَ من خلقه وشرّفهم بخدمته، فمنهم من نقله إلينا وأولهم رسول الهدى عليه الصلاة والسلام، وبعده صحابته النبلاء رضي الله عنهم أجمعين، وبعدهم توالى الناس على خدمة القرآن الكرمي، فمنهم من حفظه ومنهم من كتبه ومنهم من سعى في حفظه أو ساهم فيه، وكلهم مأجور بإذن الله تعالى، وقد كان للنحاة وعلماء اللغة نصيب وافر في خدمة القرآن الكريم، فمنهم من فسّر ألفاظه ومعانيه، ومنهم من بيّن مقاصده ومراميه، ومنهم من أسّس لبعض النظريات في أحكامه أو مدلولاته، وهذه الدراسة تُسلّط الضوء على جانب خدمة أهل اللغة للقرآن الكريم، وتذكرُ في ذلك نموذجيْن لهما حظ وافر في كتب الآثار، وفي مصنفات التراجم والأخبار.

1-2. أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في عدة نقاط يُذكَرُ منها:

- كونه يدرسُ أقدسَ كتاب على وجه الأرض؛ دستورَ الدنيا القرآنَ الكريمَ.
- طبيعتها الشاملة التي تجمعُ بين علوم شتى؛ التاريخ والفقه والأدب والنحو والبلاغة.
- كونه يتعلقُ ببيان جزء من تاريخنا وتراثنا الحافل.
- ذكره لجملة من العلماء والمصنّفات؛ مما يزيد القارئ معرفةً واطّلاعا.

1-3. طرح الإشكالية:

ينطلقُ هذا البحث من الإشكال الآتي:

- **كيف خدمَ اللغويّون –وعلى رأسهم الدؤلي والجرجانيّ– القرآن الكريم؟**

ويندرج تحت هذا الإشكال السؤالان الفرعيان الآتيان:

- من هو أبو الأسود الدؤلي؟ وما خدمته للقرآن الكريم؟
- من هو الجرجاني؟ وما خدمته للقرآن الكريم؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1-4. أهداف الدّراسة:

تهدفُ هذه الدّراسة إلى الآتي:

- بيان عناية العلماء بدراسة القرآن الكريم، وجمع بعض النماذج.
- التأكيد على أن القرآن الكريم يُشكل أولى اهتمامات اللغويين؛ استدلالًا واستشهادًا.
- التعريف بعالـــمَين لغويَّيْن كبيرين في تاريخ اللغة والأدب والنحو.
- التعريف بحادثة تنقيط المصحف، وبيان أسبابها وحيثياتها.
- التعريف بأهم نظرية في الإعجاز القرآني ألا وهي نظرية النظم.

1-5. خطة الدراسة:

جاءت فروع هذه الدّراسة في عنصرين اثنين أساسيين وتحتهما عناصر فرعية، وتتقدمُهما مُقدّمةٌ، وتليهما خاتمة، وتفصيل عناصرها كالآتي:

1. **مقدمة:** وفيها أهمية الموضوع وإشكاليته وأهدافه ومنهج دراسته وخطة تقسيمه.
2. **تنقيط أبي الأسود الدؤلي للقرآن الكريم:**
   2-1. التعريف بأبي الأسود الدؤلي.
   2-2. حادثة تنقيط المصحف.
3. **نظرية النظم في الإعجاز البلاغي عند الجرجاني.**
   3-1. التعريف بالجرجاني.
   3-2. نظرية النّظْم في الإعجاز القرآني.
4. **الخاتمة:** وفيها أهمّ النتائج التي توصّلتْ إليها الدّراسةُ، وبعض الاقتراحات من خلالها.

1-6. المنهج المتبع:

أُنتُهِجَ في معالجة هذا المقال المنهج التاريخي؛ وذلك بالنظر بين طيات المصنفات والبحث بين العصور عن الأدباء الفقهاء الذين خدموا القرآن الكريم، وفيه أيضا المنهج الوصفي التحليلي؛ حيث تم وصف بعض الأحداث وتعريف بعض الشخصيات وتحليلها، وبيان مدى إسهامها في خدمة الموضوع المدروس.

1. تنقيط أبي الأسود الدؤلي للقرآن الكريم:

خدمَ أبو الأسود الدؤلي القرآن الكريم خدمة عظيمة تتمثل في تنقيطه لحروف المصحف؛ لإزالة التشابه في رسمها، وذلك لمساعدة القرّاء على عدم اللحن والتصحيف في القراءة، واختلفت الروايات في إقدامه على ذلك، وسيأتي في هذا الجزء من البحث تعريف بالدّؤلي وبيان لأسباب تنقيطه للمصحف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2-1. التعريف بأبي الأسود الدؤلي:

أبو الأسود الدؤلي من الأعلام المعروفين حتى عند العامّة، وقد جمع علوما عديدة جعلت اسمَهُ علمًا، وفي العناصر الآتية تفصيل في معرفة اسمه ونسبه وعلمه وشيوخه وتلاميذه ووفاته.

2-1-1. اسمه ونسبه ووفاته:

عُرِفَ بكنيته واشتهر بها؛ وهي أَبُو الْأسود الدؤَلِي، وقيل اسمُه ظَالِم بن عَمْرو بن ظَالِم وَيُقَال ظَالِم بن عَمْرو بن سُفْيَان وَيُقَال عُثْمَان بن عَمْرو وَيُقَال عَمْرو بن سُفْيَان وَيُقَال عَمْرو بن ظَالِم أَبُو الْأسود الدؤَلِي الْبَصْرِيّ[1]، أبو الأسود الدؤلي ويقال الديلي، اسمه: ظالم بن عمرو على الأشهر، قيل: ولد في أيام النبوة، وقال الواقدي: أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.[2]

وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن خلس بْنِ يَعْمَرَ بْنِ نُفَاثَةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ الدئل بْنِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ.[3]

قال الأصمعي أخبرني عيسى بن عمر قال: الديل بن بكر الكناني إنما هو الدُّؤل فترك أهل الحجاز الهمز، وكان الدؤل بن بكر بن كنانة من سكان البصرة، والنسبة إليه دؤلي كما ينسب إلى نمر نمري فيفتح استثقالاً للكسرة، ويجوز تخفيف الهمزة فيقال الدولي بقلب الهمزة واوًا محضة؛ لأن الهمزة إذا انفتحت وكان قبلها ضمة فتخفيفها بقلبها واوًا محضة كما يقال في جُؤن جُوَنٌ، وقد يقال الدّيليّ بقلب الهمزة ياءً حين انكسرت؛ فإذا انقلبت ياء كُسِرَت الدّال لتسلم الياء؛ مثل قِيل وبِيع.[4]

كان الدؤلي من كبار التابعين من أصحاب علي، وهو أول من وضع النحو، وهو تابعي بصري ثقة[5]، ويقال في وفاته أنّه توفيّ سنة تسع وستين للهجرة في طاعون الجارف، وأخطأ من قال إنه توفيّ في خلافة عمر بن عبد العزيز.[6]

ذكره ابن شاهين في الصحابة، وهذا خطأ؛ فليس لأبي الأسود صحبة، بل هو تابعي مشهور، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستعمله عَلَى البصرة.[7]

2-1-2. عِلْمُ الدُّؤَلِيّ وعَمَلُه:

الدؤلِيّ هُوَ أول من نقط الْمَصَاحِف وَوضع للنَّاس علم النَّحْو وَهُوَ تَابِعِيّ شيعي شَاعِر نحوي، كَانَ قد التمس من عَليّ عَام الْحكمَيْنِ أَن يَبْعَثهُ حكما فَلَمَّا قدم على مُعَاوِيَة أدنى مَجْلِسه وَأعظم جائزته وقَالَ لَهُ: أَنْت الْقَائِل لعَلي ابعثني حكما فوَاللَّه مَا أَنْت هُنَاكَ فَكيف كنت صانعًا قَالَ كنت جَامعا أَصْحَاب مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأَقُول لَهُم أبدريّ أحديّ شجريّ أحب إِلَيْكُم أم رجل من الطُّلَقَاء، وَكَانَ من المتحققين بمحبة عَليّ وَأَوْلَاده، وَكَانَ رجل أهل الْبَصْرَة؛ ووَلي قَضَاءَها.[8]

حدَّث أبو الأسود عن عمر، وعلي، وأبيّ بن كعب، وأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، والزبير بن العوام، وطائفة، وقال أبو عمرو الداني: قرأ القرآن على عثمان، وعلي، وقرأ عليه: ولده أبو حرب، ونصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر، وحدَّث عنه: ابنه، ويحيى بن يعمر، وابن بريدة، وعمر مولى غفرة، وآخرون، قال أحمد العجلي: ثقة، كان أول

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من تكلم في النحو، وقيل: قاتل أبو الأسود يوم الجمل مع علي بن أبي طالب، وكان من وجوه الشيعة، ومن أكملهم عقلا، ورأيا.[9]

وكان أبو الأسود شاعرًا متشيعًا، وكان ثقة في حديثه، وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما خرج من البصرة استخلف عليها أبا الأسود الدؤلي فأقره علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[10]

قال الجاحظ واصفا إياه: أبو الأسود معدود في طبقات الناس وهو في كلها مقدم مأثور عنه في جميعها كان معدودا في التابعين والفقهاء والمحدثين والشعراء والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحاة والحاضري الجواب والشيعة والبخلاء والصلع الأشراف والبخر الأشراف.[11]

قَالَ مَالك بلغني أنّ أبا الأسود الدؤلي باع دارا له فقيل له بعت دارك؟ قال: لا؛ ولكني بعت جيراني، وكان ينزل في بني قشير وكانوا عثمانية وأبو الأسود علويّ الرأي فكان بني قشير يسيئون جواره ويرجمونه بالليل فعاتبهم على ذلك فقالوا ما رجمناك ولكن الله رجمك، فقال: كذبتم لأنّكم إذا رجمتموني أخطأتموني ولو رجمني الله ما أخطأني ثم أنتقل عنهم إلى هذيل وقال فيهم:[12]

شتموا عليا ثم لم أزجرهم عنه فقلت مقالة المتردد

الله يعلم أن حبي صادق لبني النبي وللإمام المهتدي

2-1-3. تأسيس علم النحو:

قال محمد بن سلام الجمحي: أبو الأسود هو أول من وضع باب الفاعل، والمفعول، والمضاف، وحرف الرفع والنصب والجر والجزم، فأخذ ذلك عنه يحيى بن يعمر.[13]

وقال المبرد: حدثنا المازني، قال: السبب الذي وضعت له أبواب النحو: أن بنت أبي الأسود قالت له: ما أشدُّ الحر، فقال: الحصباء بالرمضاء، فقالت: إنما تعجبت من شدته، فقال: أَوَقَدْ لحن الناس؟! فأخبر بذلك عليّا رضي الله عنه فأعطاه أصولا بنى منها، وعمل بعده عليها، وأخذ عنه النحو: عنبسة الفيل، وأخذ عن عنبسة: ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون: عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وأخذه عنه: عيسى بن عمر، وأخذه عنه: الخليل بن أحمد، وأخذه عنه: سيبويه، وأخذه عنه: سعيد الأخفش.[14]

كان أول من أسس علم العربية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخذه عنه أبو الأسود.[15]، وقيل قد أمره عليّ رضي الله عنه بوضع شيء في النحو لما سمع اللحن، فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال عليّ: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثم سمي النحو نحوا.[16]

عن أبي الأسود، قال: دخلت على علي، فرأيته مطرقا، فقلت: فيم تتفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، فقلتُ: إن فعلتَ هذا، أحييتنا، فأتيته بعد أيام، فألقى إليّ صحيفة، فيها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكلام كله اسم، وفعل، وحرف، فالاسم: ما أنبأ عن المسمى، والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال لي: زده وتتبعه، فجمعت أشياء، ثم عرضتها عليه.[17]

2-2. تنقيط المصحف:

قرأ الناس القرآن الكريم من مصحف عثمان غير المنقط نيفا وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثم كثر التصحيف الذي كان من أهم الأسباب التي دعت إلى تنقيط المصحف وتشكيله، مما دعا الحجّاج بن يوسف وغيره من أولياء الأمر إلى الأمر بوضع علامات دالة على الحروف المتشابهة.[18]

والتصحيف مصدر صحَّفَ، وهو الخطأ في القراءة تحريف كلمة بتحويل وضع حروفها أو تحويل أحدها إلى آخر يشبهه في الرَّسم ويخالفه في النَّقْط.[19]

قال أبو عبيدة: أخذ أبو الأسود عن عليّ العربية، وهو أول من نقط المصاحف، حيث سمع قارئا يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:3]، فقرأها: "ورسولِه" بكسر اللام بدلا عن ضمها، فقال: ما ظننت أنّ أمر الناس قد صار إلى هذا، فقال لزياد الأمير: ابغني كاتبا لقنا، فأتى به، فقال له أبو الأسود: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف، فانقط نقطة أعلاه، وإذا رأيتني قد ضممت فمي، فانقط نقطة بين يدي الحرف، وإن كسرت، فانقط نقطة تحت الحرف، فإذا أتبعت شيئا من ذلك غنة، فاجعل مكان النقطة نقطتين، فهذا نقط أبي الأسود.[20]

بناءً على ما ورد ذكره في تعريف أبي الأسود الدؤلي وبيان إعجامه لحروف المصحف، تتبيّنُ مكانة الرجل بين النحاة والفقهاء على حدّ سواء، فقد سخره الله تعالى لخدمة كتابه العزيز، وهذا فتح عظيم من الله، فساهم في تقويم القراء لتجنب اللّحن والأخطاء.

2. نظرية النظم في الإعجاز البلاغي عند الجرجاني:

كان لأبي بكر الجرجانيّ بصمة كبيرة في علوم القرآن، إذ أنّهُ أسّس لأشهر نظرية في الإعجاز اللفظي للقرآن والتي أطلق عليها اسم نظرية النظم، وقد نصّ على نظريته هذه في كتابه الموسوم بـــ: إعجاز القرآن، وقد جمعت نظرية النظم بين الآراء المختلفة في تأويل الإعجاز اللفظي، وسيأتي في هذا الجزء تعريف بالجرجاني والنظرية المذكورة.

3-1. التعريف بالجرجاني:

عبد القاهر الجرجاني عمود من أعمدة اللغة، مؤسس ومؤصل لعلوم اللغة، لا يخفى ذكره عند اللغويين، وعند المهتمين بالإعجاز القرآني، وفي العناصر الآتية بيان لنسبه ووفاته وعلمه ومصنفاته:

3-1-1. اسمه ونسبه ووفاته:

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني هو واضع أصول البلاغة، كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان، وتقع بين طبرسات وخراسان.[21]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شيخ العربية، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي[22]، حيث تخرج على أبي الحسين بن عبد الوارث، ولم يقرأ على غيره، صنف في النحو والأدب كتبا مفيدة، وله شعر كثير.[23]

عبد القاهر الجرجاني فارسي الأصل، جرجانيّ الدار، عالم بالنحو والبلاغة، أخذ النحو بجرجان عن الشيخ أبي الحسين محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الوارث الفارسيّ، نزيل جرجان، ابن أخت الشيخ أبي على الفارسيّ، وأكثر عنه، وقرأ ونظر في تصانيف النحاة والأدباء، وتصدّر بجرجان، وحثّت إليه الرّحال، وصنف التصانيف الجليلة، وكان رحمه الله ضيّق العطن، لا يستوفى الكلام على ما يذكره مع قدرته على ذلك.[24]

كان الجرجانيّ شافعيّا، عالما، أشعريا، ذا نسك ودين، وقيل: كان ورعا قانعا، دخل عليه لص، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها، وكان آية في النحو[25]، وتوفي عبد القاهر الجرجاني سنة 471هـ، أو ما يوافق سنة 1078م[26]، وقيل: توفي سنة 474هـ.[27]

3-1-2. عِلْمُ الجرجانيّ ومصنفاته:

أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي من أكابر النحويين، أخذ عن أبي الحسين محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الوارث، وكان يحكي عنه كثيراً، لأنه لم يلقَ شيخاً مشهوراً في علم العربية غيره، لأنه لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، وإنما طرأ عليه أبو الحسين فقرأ عليه، وأخذ عنه علي بن أبي زيد الفصيحي.[28]

كان عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الفارسي، إمام العربية واللغة والبيان، أول من دون علم المعاني، وصنف في النحو والأدب كتبا مفيدة.[29]

صنف تصانيف كثيرة جيدة، منها: كتاب المغني في شرح الإيضاح لأبي عليّ الفارسي، وهو نحو ثلاثين مجلداً، وكتاب المقتصد في شرح الإيضاح أيضاً، نحواً من ثلاثة مجلدات، وكتاب العوامل، وكتاب الجمل، وشرحها الموسوم بالتلخيص[30]، وله كتاب العوامل المائة، وكتاب المفتاح، وفسر الفاتحة في مجلد، وله العمد في التصريف، وغير ذلك.[31]

كما له شعر رقيق، وله عدة كتب أخرى منها: "أسرار البلاغة"، وكتاب "دلائل الإعجاز"، وكتاب "الجمل" في النحو، وكتاب "التتمة" في النحو.[32]

3-2. نظرية النَّظْم في الإعجاز البلاغي للقرآن:

تعدّدت آراء النحاة والفقهاء في الإعجاز البياني للقرآن، فمنهم من يرى إعجازه في لفظه ومنهم من برى أن القرآن معجز بمعناه، وهذا فيه فصل بين الشكل والمضمون، لكن عبد القاهر الجرجانيّ جمع بينهما وقال بأنّ القرآن مُعْجِز بنَظمِه، أي أنّ الألفاظ تتّسق معا ليخرج التعبير في أجمل معنى وأرقى أسلوب.

والنَّظْم في اللغة مصدر نظَمَ، ونَظْم القرآن: عبارته التي يشتمل عليها صيغة ولغة، وأصول النَّظم: هي القواعد التي يجب مراعاتها عند إنشاء الشِّعر من العروض وغيره.[33]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول ابن تيمية في نظم القرآن: وأسلوبه عجيب بديع ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة، و لم يأتِ أحد بنظير هذا الأسلوب، فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الرسائل ولا الخطابة، ولا نظم ناظم من الناس عربهم وعجمهم كلاما بفصاحة القرآن وبلاغته، وليس له نظير في كلام جميع الخلق، وبسط هذا تفصيله طويل يعني يعرفه من له نظر وتدبر.[34]

3-2-1. تعريف النظرية:

يقول الجرجاني في تعريف النظم: "اعلم أنْ ليسَ النظمُ إلا أن تضعَ كلامكَ الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النحو، وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه، وتعرفَ مناهجَه التي نُهِجتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك، فلا تُخِلَّ بشيءٍ منها".[35]

نظرية النظم القرآني هي فكرة عميقة تتابع على تجليتها وإعطائها هذا البعد أو المعنى الناصع غير واحد من العلماء حتى استوت على سوقها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، وهذه الفكرة أو النظرية أبرز ما قدمه القدماء من دراسات حول إعجاز القرآن، ولعل أحدا لم يقع قبل الجاحظ رحمه الله على هذه اللفظة ذاتها "نظم القرآن".[36]

وقال الجاحظ في هذا الصدّد: "لأن رجلا من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة طويلة أو قصيرة، لتبيّن له في نظامها ومخرجها، وفي لفظها وطبعها، أنه عاجز عن مثلها ... وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين، ألا ترى أن الناس قد كان يتهيأ في طبائعهم، ويجري على ألسنتهم أن يقول رجل منهم: الحمد لله، وإنا لله، وعلى الله توكلنا، وربّنا الله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا كلّه في القرآن".[37]

وقال الباقلاني عن نظم القرآن: "وهو أدق من السحر، وأهول من البحر، وأعجب من الشعر، وكيف لا يكون كذلك: وأنت تحسب أن وضع " الصبح " في موضع " الفجر " يحسن في كل كلام إلا أن يكون شعراً أو سجعاً؟ وليس كذلك، فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى لو وضعت موضعها في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار".[38]

نظرية النظم تعني أن القرآن معجز بتأليفه، وبكل ما انطوى عليه هذا التأليف، وهي نظرة شاملة لا تبحث عن الإعجاز في جوانب تفصيلية، كالمفردات اللغوية، أو الأوزان، أو الحركات، أو الاستعارات، وإنما تبحث عنه في التأليف الجامع وما انطوى عليه.[39]

3-2-2. أصل النظرية وتاريخها:

كان إبراهيم النظَّام المعتزليّ يعتقد أن القرآن ليس في درجة من البلاغة والفصاحة تمنع من الإتيان بمثله، فبلاغته لا تزيد على بلاغة سائر الناس، وهو من جنس كلام البشر، ومثل هذا الرأي دفع علماء المسلمين إلى البحث في سر بلاغة وخصائص النص القرآني، حتّى أثمر البحثُ أهمَّ نظرية في تراثنا البلاغي وهي نظرية النظم، فكان الردُّ على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النظَّام ونظريته في الصِّرْفة باعثاً مهمًّا ومنطلقا لعلماء البلاغة أن يُثْبِتوا تَفَوُّق الأسلوب القرآني على الأساليب البشرية وتميُّزه بصنوف البيان البديع.[40]

لم تكن نظرية النظم جديدة اخترعها الجرجاني من غير مقدمات، بل تداول بعض العلماء قبله معانيها وأسسها، وشرحوا شيئا من ماهيتها وأصولها إلى أن وصلت إليه، فقد لفت النظر إليها الجاحظ في كتابه نظم القرآن، والواسطي في كتابه إعجاز القرآن في نظمه، والباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، غير أنّ الجرجاني شرحها شرحا نحويا بيانيا وافيا مترابطا وصاغ منها نظرية متكاملة تقوم على أساس عدم الفصل بين اللفظ ومعناه وبين الشكل والمضمون، وقرر أن البلاغة في النظم لا في الكلمة المفردة ولا في مجرد المعاني، دون تصوير الألفاظ لها.[41]

يتبيّن في جهود النحاة والفقهاء قبل الجرجاني أنهم لم يبدوا الرأي المتشدّد الذي لا يتزحزح في تأكيد النظم، بل ترجّحوا بين المفردة والنظم، ولم يكن هناك أشدّ مغالاة من الجرجاني في بيان فكرة النظم، ووضع قوانينها الواضحة في تحليله الوافي، لكن الجاحظ سبق إلى وضع هذا المصطلح البلاغي، حيثُ أنّ له كتابا مفقودا بعنوان «نظم القرآن»، وقد تبعه آخرون في وضع كتب بالعنوان نفسه أمثال أبي بكر السجستاني وأبي زيد البلخي، وابن الإخشيد في القرن الرابع الهجري، كما يقول أحمد صقر، وشوقي ضيف.[42]

والجاحظ هو أوّل من أولى النظم أهمية، وأوّل من فرّق بين الشكل والمضمون، ورأى روعة البيان في الصياغة، لأن المعنى في رأيه متوفر لكل شخص، على الرغم من أنه وقف على جماليات المفردة في مواضع كثيرة من كتابيه «الحيوان»، و «البيان والتبيين»، والعلماء بعده تمسّكوا بالنظم تأسّيا به، وجعلوه مناط الإعجاز البياني، لأن القرآن في رأيهم يتشكل من مفردات عربية متداولة، وجارية على الأفواه، وجاء الخطّابي في القرن الرابع بنظرات في النظم القرآني، ويبدو أنه يؤكد فكرة النظم من غير المغالاة فيها، إلا أنه لا يقول برأي صريح في جمال المفردة إلا عرضا، وفي تعرّضه للفروق، وقسم الرماني البلاغة إلى ثلاثة أنواع، وجعل المرتبة العليا للقرآن، وكذلك القاضي عبد الجبار صاحب «المغني في أبواب التوحيد» قد ذكر النظم في قالب فكري أيضا.[43]

كما أشار إلى نظرية النظم وقدّم أفكارا عنها أبو بكر الباقلاني (المتوفي سنة 403) صاحب «إعجاز القرآن»، وهو من أشهر الكتب في هذا الباب، فقد ذكر أن من أسرار الإعجاز ما في القرآن في النظم والتأليف والترصيف، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب، لكنه لم يتوسع في شرح مفهومات البلاغة، وخصائص النظم والتأليف، وقد وردَ قوله في تعريف النظرية في العنصر السابق[44]، ويوحّد الباقلانيّ بين المفردة والنظم، وإن كان يبهم أحيانا، فهو يقول بالنظم متأثرا بالجاحظ في أن الكلمات عادية، وأن الإعجاز يكون في سباكة هذه الكلمات وصياغتها، وفي أواصرها، وذلك على اختلاف المصطلح بين ربط ونظام.[45]

ثم اتّضحت فكرة النظم على أحسن صورها وذلك على يد اللغوي البلاغي عبد القاهر الجرجاني المتوفي عام 471هـ، فهذا الرجل العبقري قد استطاع في كتابيه «دلائل الإعجاز» «وأسرار البلاغة» أن يضع الأسس التي قام

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليها علم المعاني وعلم البيان، وقد توسع في إيضاح فكرة «النظم» بوصفه السر الكامن وراء كل كلام بليغ، واستعان بهذه الفكرة في إيضاح أسرار الإعجاز.[46]

نظرية النظم تحتاج تفصيلا أكثر في ذكر النقد الموجّه إليها وبعض الردود لكن المقال لا يكفي لذكرها، وبناءً على ما ورد ذكره في بيان تعريف النظرية وأصلها وتاريخها يتبين أن الجرجاني قد يسّر له الله خدمة كتابه، فجسّد مثالا عظيما في بعد النظر وعمق الفكرة وقوة الجنان، فكان بذلك جامعا لمعاني الإعجاز بين الألفاظ والمعاني، أو بين الشكل والمضمون، وصنع جسرا كان منطلقا لغيره في الغوص في الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

3. الخاتمة:

بفتح الله وفضله ومنّه وتوفيقه تمّ هذا البحث، وقد خلصتُ في نهايته إلى جملة من النتائج والاقتراحات، أذكرُ أهمها في الآتي:

4-1. النتائج:

- ✓ القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة التي توعّد بحفظها، فهيأ لحفظه من يشاء من عباده وأكرمهم بخدمته.
- ✓ النحويّون وعلماء اللغة من أشهر خدمة القرآن الكريم، وتنوعت خدماتهم فيه، فمنهم من قام بتنقيطه، ومنهم من شرح ألفاظه ومبانيه، ومنهم من درس بلاغته وبيانه ومعانيه.
- ✓ أبو الأسود الدؤلي من كبار التابعين، ومن أصحاب الإمام علي رضي الله عنه، وهو من وضع علم النحو، وهو أول من نقط المصحف الشريف، وذلك بوضع حركات الحروف.
- ✓ عبد القاهر الجرجاني هو صاحب نظرية النظم في الإعجاز البياني للقرآن، وهذه النظرية وردت لها إشارات في كتب سابقيه كالجاحظ والباقلاني، لكنه من تيسر له الاسترسال فيها وبسط معانيها، وذلك في كتابه دلائل الإعجاز.
- ✓ نظرية النظم هي فكرة تجمع بين الشكل والمضمون، أي بين المفردة والمعنى، وهي تعني أنّ الإعجاز البياني في القرآن إنما جاء بنظمه، أي بطريقة ترتيب ألفاظه التي تنتج المعنى المطلوب.
- ✓ كانت نظرية النظم في القرن الخامس مولودا مباركا دام مخاضه زهاء قرنين من الزمن في أفكار ومصنفات النحاة واللغويين، وصارت بعد ذلك مطيّة الدارسين للإعجاز البياني، ومنطلق الناقدين لإدراك المعاني.

4-2. الاقتراحات:

- ✓ دعم التواصل بين التخصصات الخادمة لبعضها، وذلك لخلق دراسات أكثر تخصّصا، وفتح المجال لتوسيع المدارك لدى الباحث والقارئ.
- ✓ إحياء الملتقيات والندوات التعريفية بأعلام التراث الأدبي والتاريخ الإسلامي، والتعريف بجهودهم وكنوزهم.
- ✓ التعمق في دراسة نظرية النظم وسرد فحواها وبيان ناقديها وذلك خدمة للقرآن الكريم في باب الإعجاز البياني، وخدمة للغة في باب المعاني.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4. قائمة المصادر والمراجع:

1- إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م.

2- أبو الحسن أحمد بن عبد الله العجلي الكوفي (المتوفى: 261هـ)، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم البستوي، المدينة المنورة: مكتبة الدار، الطبعة الأولى، 1405هـ/ 1985م.

3- أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م.

4- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: 403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، الطبعة الخامسة، 1997م.

5- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: 471هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة 1413هـ/ 1992م.

6- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230 هـ)، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م.

7- أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

8- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ)؛ بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.

9- أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دمشق: دار المكتبي، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1999م.

10- بديع الزمان النورسي (المتوفى: 1379هـ)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، القاهرة: شركة سوزلر للنشر، الطبعة الثالثة، 2002م.

11- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة/ بيروت: دار الفكر العربي/ مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، 1406ه/ 1982م.

12- الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أبو سعيد (المتوفى: 368هـ)، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مؤسسة مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ/ 1966م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

13- خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.

14- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

15- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، 1420هـ/ 2000م.

16- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، صيدا، لبنان: المكتبة العصرية،

17- عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الزرقاء، الأردن: مكتبة المنار، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م.

18- عبد الفتاح محمد سلامة، أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السنة الثانية عشر، العدد (46)، 1400هـ.

19- عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دمشق/ بيروت: دار القلم/ دار الشامية، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1998م.

20- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: 817هـ)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م.

21- محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، دراسات ومحاضرات في علوم القرآن، بيروت: دار النهضة العربية،

22- منهاج جامعة المدينة العالمية لمرحلة البكالوريوس، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، جامعة المدينة العالمية.

5. الإحالات والهوامش: تُذكَرُ معلوماتُ النشر لكل مرجع في أوّل ذكر له فقط.

1- صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/ 2000م، ج16، ص305.

2- الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م، ج4، ص81- 82.

3- ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ/ 1990م، ج7، ص69.

4- الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، أخبار النحويين البصريين، تحقيق: طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مؤسسة مصطفى البابي الحلبي، 1373هـ/ 1966م، ص11.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- أبو الحسن العجلي الكوفي، معرفة الثقات من رجال أهل العلم والحديث ومن الضعفاء وذكر مذاهبهم وأخبارهم، تحقيق: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1985م، ج1، ص484.

6- صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج16، ص306.

7- أبو الحسن ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ/ 1994م، ج3، ص101.

8- صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج16، ص305.

9- الذهبي، المرجع السابق، ج4، ص82. ويُنظر أيضا: صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج16، ص305.

10- ابن سعد، المرجع السابق، ج7، ص69.

11- صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج16، ص306.

12- المرجع نفسه، ج16، ص306.

13- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص82- 83.

14- المرجع نفسه، ج4، ص83.

15- صلاح الدين الصفدي، المرجع السابق، ج16، ص306.

16- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج4، ص82.

17- المرجع نفسه، ج4، ص84.

18- إبراهيم محمد الجرمي، معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1422هـ/ 2001م، ص94.

19- أحمد مختار عبد الحميد عمر؛ بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م، ج2، ص1272.

20- الذهبي، المرجع السابق، ج4، ص83.

21- خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م، ج4، ص48.

ويُنظرُ أيضا: أبو البركات كمال الدين الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة، 1405هـ/ 1985م، ص12.

22- الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص432.

23- مجد الدين الفيروزآبادي، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2000م، ص185.

24- جمال الدين أبو الحسن علي القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، 1406ه/ 1982م، ج2، ص188.

25- الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص433.

26- خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص49.

27- جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ج2، ص106.

ويُنظرُ أيضا: الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص433.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

28- أبو البركات كمال الدين الأنباري، المرجع السابق، ص12.

29- مجد الدين الفيروزآبادي، المرجع السابق، ص185.

30- الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص433.

ويُنظر أيضا: أبو البركات كمال الدين الأنباري، المرجع السابق، ص13.

31- الذهبي، المرجع السابق، ج18، ص433.

32- خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص48- 49.

33- أحمد مختار عبد الحميد عمر؛ بمساعدة فريق عمل، المرجع السابق، ج3، ص2237.

34- منهاج جامعة المدينة العالمية لمرحلة البكالوريوس، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، ص54.

35- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، 1413هـ/ 1992م، ص81.

36- عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، دار القلم/ دار الشامية، دمشق/ بيروت، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1998م، ص160.

37- أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، دمشق، الطبعة الثانية، 1419هـ/ 1999م، ص38.

ويُنظر أيضا: عبد الفتاح محمد سلامة، أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه)، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة السنة الثانية عشر، العدد السادس والأربعون، 1400هـ، ص102.

38- أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، الطبعة الخامسة، 1997م، ص184.

39- محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، دراسات ومحاضرات في علوم القرآن، دار النهضة العربية، بيروت، ص148.

40- أبو بلال أحمد بن محمد الخراط، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص31.

41- أحمد ياسوف، المرجع السابق، ص38.

ويُنظر أيضا: بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2002م، ص5.

42- أحمد ياسوف، المرجع السابق، ص38.

43- المرجع نفسه، ص39- 40.

44- محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، المرجع السابق، ص144.

45- أحمد ياسوف، المرجع السابق، ص40.

46- محمد عبد السلام كفافي وعبد الله الشريف، المرجع السابق، ص144.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com